وهذا الاتجاه ليس مؤقت الطابع ، ففي فترة طويلة جدا ايضا ، منذ سنة ١٩٥٠ ، بلغت الوتائر النسبية المتوسطة لزيادة الانتاج الصناعي في الاتحاد السوفياتي وغيره من بلدان الاسرة الاشتراكية اعضاء مجلس التعاون الاقتصادي ، اكثر من ضعف ما في البلدان الرأسمالية المتطورة ، التي تعاني اليوم اشتداد حدة ازمتها الاقتصادية المزمنة .

لكن الى جانب حقيقة ان النجاحات الاقتصادية والعلمية والتقنية في الاتحاد السوفياتي تخدم قضية الاشتراكية العالمية وقضية التحرر والتقدم الاجتماعي ، فان التحديد الواضح الذي قدمه ليونيد بريجنيف في تقريره الى المؤتمر ، لمفهوم التضامن النضالي مع الشعوب المكافحة ضد الاستعمار والامبريالية ، كان ما استحوذ على الدرجة الاكبر من الاهتمام ، في ضوء انتصار ثورة شعب فيتنام وشعوب الهند ـ الصينية ، وخاصة انتصار ثورة انغولا ، التي اثبتت بان الاسرة الاشتراكية متحيزة الى جانب قوى الاستقلال والتحرر والتقدم اينما كانت .

فقد حققت شعوب الهند ـ الصينية انتصاراتها التاريخية ضد الامبريالية الاميركية بالمساعدة الرئيسية للتضامن النضالي من جانب الاسرة الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي .

ومن ثم جاءت المساندة الفعالة والناشطة لهذه الاسرة الاشتراكية ، لتلعب دورا حاسما في قلب افريقيا ، مكن ثورة انغولا من دحر العدوان الامبريالي ـ العنصري ، وتحقيق الانتصار التاريخي الذي ستشهد المرحلة المقبلة مضاعفاته الايجابية على عملية تقدم الثورة التحريرية التقدمية الافريقية ، في الجزء الجنوبي من القارة ، والتي اصبحت وجها لوجه مع العدو العنصري ، الذي تمثل كياناته الاستيطانية الاستعمارية ، القواعد الامامية للامبريالية العالمية في القارة .

فقد قال بريجنيف في تقريره بوضوح : « ان احترام الحق المقدس لكل شعب وكل بلد ان يختار طريقه في التطور هو مبدأ ثابت في السياسة الخارجية اللينينية . ولكننا لا نخفي وجهات نظرنا . فنحن متحيزون لقوى التقدم الديمقراطية والاستقلال الوطني في البلدان النامية ، كما في كل مكان اخر . وننظر الى هذه القوى نظرتنا الى اصدقاء ورفاق لنا في النضال . ان حزبنا يقدم وسيظل يقدم الدعم للشعوب التي تحارب من اجل حريتها . »

واذا كان هذا التحديد قد ترجم نفسه في فيتنام وانحاء الهند ـ الصينية ، فانه قد ترجم نفسه بوضوح شديد في انغولا ، حيث سجل الاتحاد السوفياتي والاسرة الاشتراكية ، بما وضعته من ثقل الى جانب جماهير انغولا المناضلة ، درسا هاما واساسيا ينير الطريق امام بقية الشعوب المكافحة ضد الامبريالية ، اذ برهن التحالف الكفاحي بين الدول الاشتراكية وقوى التحرر والتقدم في العالم ، وبالملموس ، على الطاقة الكفاحية الجبارة القادرة مثل هذه الممارسة على خلقها في وجه الامبريالية والرجعية .

والسنوات الاولى من السبعينات تشير بوضوح الى الملامح العميقة التي سيحملها المستقبل بفضل تزاوج النضال القومي والاممي ضد الامبريالية والرجعية ، لهذا تستجمع الامبريالية قواها في هذه الفترة وتشن هجمة شرسة على وطننا العربي في محاولة لابقائه تحت سيطرتها السياسية لتستبيح ثرواته الطبيعية وتفتح اسواقه واسعة امام بضائعها الاستهلاكية واسلحتها القديمة وبعض المصانع العقيمة .

والامبريالية في وطننا اعتمادا على الصهيونية والرجعية العربية ، تحاول تحقيق اهدافها هذه بتأمين الشروط الاساسية التالية :

اولا : ضرب حركة التحرر العربي وبشكل خاص تلك الفصائل التي حملت السلاح لمواجهة العنف الامبريالي الرجعي .

ثانيا : قطع العلاقات التحالفية الحميمة القائمة بين الشعوب العربية والاتحاد السوفياتي . فقد خلق هذا التعاون خلال الخمسينات والستينات قاعدة مادية عريضة دفعت باتجاه استنهاض وتعبئة الجماهير العربية لمقارعة الامبريالية وللخروج من البوتقة المتخلفة التي حرص الاستعمار وحرصت الامبريالية على ابقائها ضمنها .

والامبريالية تعلم تمام العلم ان انجاز مهمات التحرر الوطني الديمقراطي يعتمد بالاضافة الى بناء العامل الذاتي في وطننا ، على تعميق وتوسيع التحالف والتعاون مع المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفياتي بشكل خاص ، من هنا رافقت الهجمة الامبريالية الشرسة التي ابدأت منذ عام ١٩٧٠ على الوطن العربي حرب ايديولوجية واسعة النطاق تستهدف ضرب العلاقات الحميمة عبر مسالك متعددة ومتنوعة اهمها التشكيك بقدرة الاتحاد السوفياتي وصدقه في دعم الشعوب العربية وتقاعسه عن اسناد الجماهير العربية .

■■

من كلمة فيدل كاسترو ـ الأمين الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي ، الى المؤتمر

ان كتب لينين المعبر العبقري والمواصل لافكار ماركس وانجلس وثورة اكتوبر الخالدة والانجازات البطولية المجيدة للشعب السوفياتي وصفحات التاريخ الرائعة المليئة بالجسارة والضحايا والبطولة للشيوعيين السوفيات تلك هي الاحداث التي الهمت وتلهم على امتداد ٥٨ عاما كل من يناضل في كافة ارجاء الارض ضد ظلم الانسان ومن اجل انبل مثل عدالة وكرامة وتقدم الانسانية ...

من خطاب الفيش باتيشتا عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحركة الشعبية لتحرير انغولا وزير الادارة الداخلية بجمهورية انغولا الشعبية في المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي

تبعث اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير انغولا ـ مبلا ـ تحيتها الثورية الاخوية المتأججة للمؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي وللشعب السوفياتي اللذان تقف جهودهما وراء تدعيم السلام في كل انحاء العالم، اللذان يقدمان العون السياسي المعنوي والمادي لحركة التحرر الوطني التي تعتبر سياسة ثابتة للاممية البروليتارية والتي لن تنساها « مبلا » ولا الشعب الانغولي ابدا .

وحصول شعوب البلدان التي كانت مستعمرات برتغالية على استقلالها شهادة واضحة على التعمق اللاحق للازمة العامة للرأسمالية ، وبفضل الارادة التي لا تنثني لشعبنا العظيم الذي قاسى كثيرا والذي يناضل تحت قيادة طليعته الثورية « مبلا » جرى انتهاج خط اعلان استقلال البلاد في ١١ تشرين الثاني عام ١٩٧٥ وانشاء جمهورية انغولا الشعبية . ولم يكن هذا الطريق سهلا . فقد شنت الامبريالية الاميركية مستغلة قوات النظام الفاشي في جنوب افريقيا وغيرها من القوى الرجعية عدوانا دمويا مسلحا متهورا ضد بلادنا عشية اعلان الاستقلال للاستيلاء على لواندا عاصمة انغولا .

ويؤكد يوم ١١ تشرين الثاني المجيد مثله مثل كل تاريخ نضالنا من اجل الحرية عظمة الاممية البروليتارية وقوتها . لقد جاءت معونة البلدان الاشتراكية للشعب انغولي في وقتها تماما وكانت فعالة ونشطة وحاسمة . وقد لعب العون النزيه من قبل بلدان الاسرة الاشتراكيه وتضامن ودعم القوى التقدميه في افريقيا والقارات الاخرى دورا حاسما في انتصارنا على العدوان الامبريالي .

لن نعدد اسماء كل الدول الاشتراكية التي قدمت وتقدم لنا العون المادي والمعنوي ولكننا نريد ان نشيد بشكل خاص بالعون النزيه للاتحاد السوفياتي وبالفعالية العملية الجسورة لاخوتنا الكوبيين .

ونحن نأسف لعمل احد البلدان الاشتراكية مع الامبريالية ضد شعبنا .

ان انتصارنا على الاستعمار البرتغالي صار ممكنا بفضل عون الاتحاد السوفياتي . لهذا اسمحوا لي ان اعبر من هذا المكان السامي عن الشكر والاحترام والعرفان للحزب الشيوعي السوفياتي وللشعب السوفياتي ولكل البلدان الاشتراكية .

وفي الوقت الحاضر يستمر النضال من اجل التحرير الكامل ومن اجل تراص البلاد . لقد ورثنا ارض مدمرة فارغة منهوبة . والواجب الاقتصادي الرئيسي امامنا هو تحرير البلاد تحريرا كاملا . نهب الاحتكارات واقامة تعاون مثمر مع كل بلدان العالم على اساس احترام السيادة الوطنية وسلامة الاراضي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والمنفعة المتبادل . ونحن نولي التعاون مع الدول الاشتراكية اهمية من الدرجة الاولى . وفي المجال السياسي فان واجبنا الملح هو دعم الهيكل التنظيمي لحركتنا وتهيئة الظروف لتحويل « مبلا » الى حزب سياسي مسلح بنظرية علمية ثورية .

ونحن نوطد انفسنا على مواجهة صعاب هائلة المستقبل . نحن نعرف ان الامبريالية لم تتخل بالسلاح وانها مستعدة للخوض في مغامرات جديدة . وسوف يتصدى شعبنا بقيادة « مبلا » لضرب اي عدوان متهور للامبريالية اي كان الشكل الذي يتخذه هذا العدوان .

اننا نعبر عن اعمق مشاعر التضامن مع كفاح الشعوب التي تناضل من اجل تحررها .

واتمنى من كل قلبي للحزب الشيوعي السوفياتي المجيد وللشعب السوفياتي البطل النجاح في اعمال المؤتمر الخامس والعشرين وفي التجسيد الكامل لقرارات هذا المؤتمر في الحياة .

والیوم توجد المنظومة الاشتراكية واليوم نجد تحت تأثيرا التغييرات التي ادخلتها ثورة اكتوبر على العالم والحاق الهزيمة بالفاشية ان اكثر من مائة بلد مستعمر وشبه مستعمر في كافة القارات قد استطاعت تحقيق استقلالها في غمرة من النضال العنيد ضد قوى الاستعمار والامبريالية التي ما زالت جبارة .

ان الكادحين السوفيات بعد ان بذلوا الجهود البطولية واراقوا دماءهم بغزارة شقوا طريقا للمستقبل واستطاعوا الذود عنه . لقد ضحى ٢٠ مليونا من خيرة واشجع ابناء وبنات الاتحاد السوفياتي بحياتهم في الحرب الوطنية العظمى ، لقد تم دفع ذلك الثمن الفادح كي يتم احباط محاولة الرجعية العالمية في عرقلة المسيرة الراسخة للانسانية نحو العدالة والرفاهية والسلام .

ان عملية التغييرات الطارئة على العالم لا يمكن وقفها . ليس في استطاعه انسان ان يصدر الثورة او يفرضها بواسطة الحرب كما انه ليس في استطاعة انسان ان يعرقل شعبا في القيام بها . ان المستقبل يقف بالكامل الى جانب الاشتراكية والشيوعية .

اننا نتحدث باسم الشعب الذي يقع في ذلك الجانب من الاطلنطي في القارة التي عرفت في الماضي السيطرة المطلقة غير المحدودة من جانب اعتى دولة امبريالية ، باسم الشعب الذي يبني بنجاح المجتمع الاشتراكي على بعد ٩٠ ميلا من هذا البلد . لقد ساهم شعبنا بقسطه في قضية الاشتراكية قسطه من السعي الذي لا يلين نحو العدالة والحرية ومن الدم والعرق والاخلاص للمثل الثورية . الا ان ذلك كله كان بلا معنى بدون قيام ثورة اكتوبر وبدون تأييدكم وتضامنكم الاخوي وبدون وجود الدولة التي اسسها لينين والتي يعقد اليوم حزبها الشيوعي المجيد مؤتمره الخامس والعشرون . ذلك هو الدليل الذي لا يدحض بحق للقوة الملهمة للاشتراكية وثقتها في المستقبل .

واليوم في الوقت الذي يعاني فيه العالم الرأسمالي من ازمة اقتصادية حادة وتزداد فيه الدول البورجوازية البطالة والفساد الخلقي وعدم الثقة بالغد والفوضى تجري بالمجتمع السوفياتي المتفائل والظافر والواثق بنفسه ، عملية مستمرة بلا انقطاع في تطوير التقدم المادي والاجتماعي والروحي . ذلك دليل دامغ على امكانية اقامة مستقبل افضل للبشرية بأسرها .